جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية.

قسم التاريخ:

المرحلة الثانية/ جغرافية.

السيرة النبوية:

عنوان المحاضرة:

جبريل ينزل بالوحيّ مرة ثانية:

م. د. فارس عراك عبد معروف

٢٠٢٣/ ٢٠٢٤

جبريل ينزل بالوحيّ مرة ثانية:

قال ابن حجر: وكان ذلك– أن انقطاع الوحي أياماً– ليذهب ما كان ﷺ وجدهُ من الروع، وليحصل له التشوف إلى العوّد فلما تقلصت ظلال الحيرة، وثبتت أعلام الحقيقة، وعرف ﷺ معرفة اليقين أنهُ أضحى نبياً لله الكبير المتعال، وأن ما جاءهُ سفير الوحي ينقل إليهِ خبر السماء وصار تشوفهُ وارتقابهُ لمجيء الوحي سبباً في ثباتهِ واحتمالهِ عند ما يعود، وجاءهُ جبريل للمرة الثانية. روى البخاري عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي، قال: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَخَشِيتُ حَتَّى هَوَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُونِي»؛ فأنزل الله: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ *قُمْ فَأَنْذِرْ *وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ *وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ *وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ *﴾ [المدثر: ١–٥] قال أبو سلمة : والرُّجْزَ: الأوثان.

الخبر يبلغ إلى قريش إجمالاً:

يبدو بعد النظر في نواح شتى من الوقائع أن الدعوة– في هذه المرحلة– وإن كانت سرية وفردية، لكن بلغت أنباؤها إلى قريش، بيد أنها لم تكترث بها. قال محمد الغزالي: وترامت هذه الأنباء إلى قُريش فلم تعرها اهتماماً، ولعلها حسبت محمد ﷺ، أحد أولئك الديانين، الذين يتكلمون في الألوهية وحقوقها، كما صنع أمية بن أبي الصلتّ، وعمرو بن نفيل وأشباههم، إلا أنها توجست خيفة من ذيوع خبرهُ وامتداد أثرهِ، وأخذت ترّقب على الأيام مصيرهُ ودعوتهِ. مرت ثلاث سنين والدعوة لم تزل سرية وفردية، وخلال هذهِ الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون، وتبليغ الرسالة وتمكينها من مقامها، ثم تنزل الوحي يكلّف رسول الله ﷺ بمعالنتهِ قومهِ، ومجابهة باطلهم ومهاجمة أصنامهم.

وفد قُريش إلى أبي طالب:

قال ابن إسحاق: سار رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفهَ أحلامنا، وضلل آباءنا فإما أن تكفهُ عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينهُ، فإنك على مثل ما نحن عليهِ من خلافة، فنكفيكهِ. فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنهُ ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليهِ، يظهر دين الله، ويدعو إليهَ.

المجلس الاستشاري لكف الحجاج عن استماع الدعوة:

وخلال هذه الأيام أهم قريشًا أمر آخر، وذلك أن الجهر بالدعوة لم يمضِ عليهِ إلا أشهر معدودة حتى قرب موسم الحج، وعرفت قُريش أن وفود العرب ستقدم عليهم، فرأت أنهُ لا بد من كلمة يقولونها للعرب في شأن محمد ﷺ حتى لا يكون لدعوتهِ أثر في نفوس العرب، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة يتداولون في تلك الكلمة، فقال لهم الوليد: أجمعوا فيهِ رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضهُ بعضاً، قالوا: فأنت فقل، قال: بل أنتم فقولوا! أسمع. قالوا: نقول: كاهنٌ. قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكُهانّ، فما هو بزمزمة الكاهنّ ولا سجعهِ. قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناهُ، ما هو بخنقهِ ولا تخالجهِ ولا وسوستهِ. قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كلهُ رجزهِ وهزجهِ وقريضهِ ومقبوضةَ ومبسوطةَ، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول؟ قال: والله إن لقولهُ لحلاوة، وإن أصلهِ لعذق، وإن فرعهُ لجناة، وما أنتم بقائلينّ من هذا شيئا إلا عرف أنهُ باطل، وإن أقرب القول فيهِ لأن تقولوا: ساحر. جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيهِ، وبين المرءِ وأخيهِ، وبين المرء وزوجتهِ، وبين المرء وعشيرتهِ، فتفرقوا عنهُ بذلك. وتفيد بعض الروايات أن الوليد لما رد عليهم كل ما عرضوا لهُ، قالوا: أرنا رأيك الذي لا غضاضة فيه، فقال لهم: أمهلوني حتى أفكر في ذلك، فظل الوليد يفكر ويفكر، حتى أبدى لهم رأيهِ الذي ذكر آنفاً. وفي الوليد أنزل الله تعالى سته عشرة آية من سورة المدثر، قالَ الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ *قُمْ فَأَنْذِرْ *وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ *وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ *وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ *وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ *فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ *عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ *ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا *وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا *وَبَنِينَ شُهُودًا *وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا *ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ *كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا *﴾ [المدثر:١-١٦] وفي خلالها صور كيفية تفكيره، فقال: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ *فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ *ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ *ثُمَّ نَظَرَ *ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ *ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ *فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ *إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ *﴾ [المدثر:١٨-٢٥] وبعد أن اتفق المجلس على هذا القرار أخذوا في تنفيذهِ، فجلسوا بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمرهِ. والذي تولى كبر ذلك هو أبو لهب، فقد كان رسول الله ﷺ يتبع الناس إذا وافى الموسم في منازلهم وفي عكاظ ومجنة وذي المجاز، يدعوهم إلى الله، وأبو لهب وراءهُ يقول: لا تطيعوهُ فإنهُ صابئ

كذاب. وأدى ذلك إلى أن صدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ، وانتشر ذكرهُ في بلاد العرب كلها.

أساليب شتى لمجابهة الدعوة:

ولما رأت قريش أن محمداً ﷺ لا يصرفهُ عن دعوتهِ هذا ولا ذاك. فكروا مرة أخرى، واختاروا كيف قمع هذهِ الدعوة بأساليب تتلخص فيما يأتي:

١- السخرية والتحقير.

والاستهزاء والتكذيب والتضحيك، قصدوا بها تخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنوية، فرموا النبي ﷺ بتهم هازلة، وشتائم سفيهة، فكانوا ينادونهُ بالمجنون وانزل الله تعالى ﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ*﴾ [الحجر: ٦] ويصفونهُ بالسحر والكذب وانزل الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ*﴾ [ص: ٤] وكانوا يشيعونهُ ويستقبلونهُ بنظرات ملتهمه ناقمة، وعواطف منفعلة هائجة، وانزل الله تعالى ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ*﴾ [القلم: ٥١] وكان إذا جلس وحولهُ المستضعفون من أصحابهِ استهزأوا بهم وقالوا: هؤلاء جلساؤه ﴿مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ*﴾ [الأنعام: ٥٣] وكانوا كما قص الله علينا ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ*وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ*وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ*وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ*وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ*﴾ [المطففين: ٢٩-٣٣].

٢- تشويه تعاليمه وإثارة الشبهات:

وبث الدعايات الكاذبة، ونشر الإيرادات الواهية حول هذه التعاليم، وحول ذاتهِ وشخصيتهِ، والإكثار من كل ذلك بحيث لا يبقى للعامة مجال في تدبر دعوتهِ، فكانوا يقولون عن القرآن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا*﴾ [الفرقان:٤-٥] وكانوا يقولون: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] وكانوا يقولون عن الرسول ﷺ: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] وفي القرآن نماذج كثيرة للردود على إيراداتهم بعد نقلها أو من غير نقلها.

٣- معارضة القرآن بأساطير الأولين:

وتشغيل الناس بها عنهُ. فقد ذكروا أن النضر ابن الحارث قال مرة لقريش: يا معشر قريش! والله لقد نزل بكم أمر ما أوتيتم لهُ بحيلة بعد. قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغية الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر. لا والله ما هو بساحر. لقد رأينا السحرةّ ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن. لا والله ما هو بكاهن. قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر. لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافهِ كلها هزجهِ ورجزهِ، وقلتم: مجنون. لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقهِ، ولا وسوستهِ، ولا تخليطهِ، يا معشر قريش فانظروا في شأنكم، فإنهُ والله لقد نزل بكم أمر عظيم. ثم ذهب النضر إلى الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ورستم.